الشيخ صديق حسن خان القنوجي ومنهجه في إيرادالمسائل العقدية في تفسيره ''فتح البيان في مقاصد القرآن''

(دراسة تحليلية)

Sheikh Siddique Hassan Khan Al-Qanouji and his methodology of illustrating the issues of creed in his Commentary "Fath al-Bayān Fī Maqāsid al-Qur'ān" (An analytical study)

د/ سيد آصف محمود[۱]

أ/ حافظ عبد الحنان حامد[۲]

ABSTRACT

This research deals with the approach of Shaikh al-Qanouji (may Allah have mercy upon him) in describing the issues of creed (aqidah) in his interpretation. The Shaikh chose the method of Salaf regarding the creed, especially in the verses of attributes of Allah, i.e he believes in them without distorting or disobeying. As for the attributes of Allah in which the scientists differ, suchذذ as: the type of hand, the type of establishing Himself above the throne, and the attribute of His eyes and so on. I will gradually illustrate in this research firstly, the position of the Sheikh on the attributes of Allah, secondly, his position on the innocence of the Prophets, thirdly, his position on the blowing out of the fire of Hell, with evidences which the sheikh mentioned in his interpretation. To highlit the correct position after coparing the opinions of scholars with an analytical study.

---

[۱]- محاضر كلية أصول الدين بقسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

[۲]- الأستاذ المساعد، أكاديمية الدعوة، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

Keywords: Methodology of Al-Qanouji, the verses of attributes, the innocence of the Prophets and blowing out of fire.

الملخص :

يتناول هذا البحث العلمي منهج الشيخ القنوجي رحمه الله في إيراد المسائل العقدية في تفسيره "فتح البيان في مقاصد القرآن" واختار الشيخ القنوجي مسلك السلف في ذكر أمور العقائد، وخاصة سرد آيات التي ذكرت فيها صفات الله سبحانه وتعالى، أي يفسرها من غير تحريف ولا تعطيل وتكييف وتمثيل ولا تأويل، ومن صفات الله سبحانه وتعالى التي اختلف العلماء في تفسيرها، منها: صفة اليد، وصفة الاستواء، وصفة العين وغيرها، وسأتحدث في هذا البحث عن مؤلف الكتاب، وتعريف الكتاب وعن منهجه في صفات الله تعالى المختلفة وموقفه في عصمة الأنبيآء، وفناء النار، مع أدلة التي ذكرها الشيخ في تفسيره، لإبراز الموقف الصحيح بعد المقارنة بين آراء العلماء بدراسة تحليلية.

الكلمات المفتاحية : منهج الشيخ القنوجي، آيات الصفات، عصمة الأنبيآء، فناء النار.

التمهيد:

الحمد لله الذي هدانا بهدي القرآن، والصلاة والسلام على خاتم الأنبيآء نبينا محمد مصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على سبيله إلى يوم الدين وبعد:

إن لشبه القارة الهندية دور فعّال وجهود مقبولة عبر التاريخ الإسلامي من حيث الثقافة والحضارة، والتعليم والتدريس، والتصنيف والتأليف، واشتهرت بعلمائها وفقهائها ومفسّريها ومحدثيها وكثرة مؤلفاتها في مختلف العلوم والفنون، فقد ألّف علمائها خاصة في العصور المتأخرة في الحديث والفقه، والتاريخ والسير، وترجمة معاني القرآن الكريم في لغاتهم المحلّية، وبذلوا جهودا مشكورة في تعليم القرآن وتدريسه، وأنشأوا المعاهد والمكاتب والمدارس التي تُدرس فيها العلوم الشرعية والإسلامية وفنون شتى.

فظهر فيها عديد من العلماء المفسّرين الذين اهتموا ببيان معاني القرآن الكريم وتفسيره اهتماما بالغا، واشتغلوا بتفسير كلام الله المجيد وعلومه وأفنوا حياتهم في خدمة القرآن الحكيم، وجعلوها نصب حياتهم؛ لأن القرآن الكريم مصدر ومرجع أساسي لكل عالم وفقيه تعلّما وتعليما، إذ هو المعجزة الباهرة، والحجة القاهرة، لا تنهى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، فلا يزال العلمآء الأكفّاء في كل عصر ومصر ينهلون من علومه، ثم يبيّنون للناس ما فهموا، ويذكرون لهم ما استنبطوا، واضعين- في ذلك كله – معرفة مراد الله سبحانه وتعالى نصب أعينهم، وغاية مرادهم، ومن طائفة هؤلاء السعداء العلماء الأفذاذ العالم الجليل والمؤلف الكبير اشتهر تفسيره

لكتاب الله تعالى واستفاد منه الباحثون في دراساتهم وتحقيقاتهم العلمية، ألا وهو الشيخ العلامة السيد صديق حسن خان القنّوجي البهوبالي-رحمه الله- المتوفى سنة (١٢٤٨هـ-١٨٣٢م/١٣٠٧هـ-١٨٩٠م) صاحب كتاب "فتح البيان في مقاصد القرآن" الذي بيّن فيه رموزا وأسرارا لكلام الله تعالى، وجمع فيه فنونا وعلوما عديدة، والبحث يتضمّن العناصرة التالية:

أولا: نبذة عن مؤلف الكتاب

ثانيا: التعريف بالكتاب

ثالثا: منهج القنوجي في إيراد المسائل العقدية

رابعا: موقفه من صفات الله تعالى

خامسا: موقفه من عصمة الأنبياء

سادسا: موقفه من فناء النار

أولا: نبذة عن صاحب الكتاب:

يُعدّ العلامة السيد صديق بن حسن خان القنّوجي أحد مشاهير الإسلام، ومن أعلام النهضة الحديثية المعاصرة في بلاد شبه القارة الهندية، ولد ببلدة "بريلي"[٣] سنة ١٢٤٨هـ الموافق ١٨٣٢م في أسرة معروفة بتمسّكها بالكتاب والسنّة، تنتهي شجرته النسبية بواسطة زين العابدين بن الحسين بن علي إلى سيد المرسلين محمد بن عبد الله –صلوات ربي وسلامه عليه– ونسب إلى بلدة "قنوج"[٤] حيث استقرت فيها أسرته، فلذا يقال له القنّوجي ثم البهوبالي ولقّب بالنواب، توفي أبوه حين كان عمره ست سنوات، ثم كفّلته أمه وربّاه أخوه الأكبر الشيخ أحمد حسن القنّوجي، وللشيخ شرف التلمّذ على عديد من كبار العلماء في زمنه من الهند واليمن.

كان الشيخ القنّوجي من العلماء البارزين في شبه القارة الهندية حيث صرف أكثر حياته في خدمة الدين الحنيف، داعيا الأمة إلى الاعتصام بالكتاب والسنّة على طريقة السلف الصالح في ضوء فهمهم للنصوص الشرعية من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، عاملا بالدليل، مختارا لنفسه العمل بالكتاب والسنّة دون التقيّد بمذهب من المذاهب الفقهية المشهورة، وإنه كان من الفقهاء المحدثين الكبار في زمنه الذين يستمدّون الأحكام الشريعة مباشرة من الكتاب والسنّة سواء وافقهم مذهب من المذاهب المعروفة أو لم يوافقهم، وهذا الأمر واضح لكل من قرأ مؤلفات القنّوجي ومصنفاته، وأنه قدم مؤلفات كثيرة باللغات العربية والفارسية والأردية في علوم متنوعة، منها مطبوع ومنها مخطوط، وكذلك صنّف عدة كتب في العقيدة الإسلامية الصحيحة.

الجهود التي قام بها القنّوجي مترامية الأطراف، واسعة النطاق، بحيث يعرفه علماء العرب والعجم[٥] بخدمة الدين ونشر الكتب العلمية، واعترف العلماء الأجلاّء المثقفين بعلم العلامة القنّوجي، وفضله في كتبهم ورسائلهم، بحيث أنه قام بـــنشر كتب الحديث ودواوين السنّة مثل "فتح الباري في شرح صحيح البخاري" و "تفسير ابن كثير" و "نيل الأوطار" للشوكاني وغيرها على نفقته الخاصة في المطبعة الأميرية بمصر، ووزّعها مجّانا في كافة أنحاء العالم، ولم يزل موقفا حياته ومكرسا جهده في نشر العلم وخدمة الدين حتى فارق الدنيا في بهوبال سنة

---

[٣]- هذه البلدة تقع في الهند، معروفة بعلمائها ومشاهيرها الكبار مثل الشهيد أحمد بن عرفان البريلوي والعلامة عبدالحي الحسني والمفكر الإسلامي أبي الحسن علي الندوي وغيرهم. (انظر: الحسني الندوي، العلامة عبد الحيي بن فخر الدين، الهند في العهد الإسلامي، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد–الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، ص٨٠.

[٤]- اسم المدينة التي تقع في شمالي الهند تحت ولاية أتربرديش وهي من أقدم المدن.

[٥]- قد أثنى عليه معاصره العلامة عبد الرزاق البيطار، والعلامة عبد الحي الحسني، والشيخ عبد الرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ عبد الحي الكتاني، والعلامة أبي الحسن الندوي وغيرهم.

١٣٠٧هـ[٦]. وفي هذه الفترة القصيرة من حياته أنه عمل ليل نهار، ولعب دورا تاريخيا في نشر علوم الكتاب والسنة، وترك آثارا في حياة مسلمي شبه القارة الهندية التي تدل على سموّها وشرفها ونجابتها،وحتى بعد وفاته، استمرت هذه الحركة العلمية والأدبية والإصلاحية مما أعطى بهوبال مكانة علمية بارزة في جميع أنحاء الهند.

ثانيا: التعريف بالكتاب:

بدأ تفسير القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ؛ لأن غاية التفسير هي معرفة معاني القرآن الكريم، واستنباط أحكامه وحكمه، فكان الصحابة أهل اللغة يفهمون القرآن ويعرفون معانيه، وإذا خفي عليهم معنى رجعوا إلى النبي ﷺ وقدّموا عليه مشكلاتهم القرآنية فبيّن لهم ذلك، وانتهى هذا الأمر بوفاة النبي ﷺ ثم اشتغل الصحابة الكرام والتابعون العظام والعلماء البارعون بالتفسير القرآني إلى عصرنا الحاضر، ثم حاول بعض المفسرين تفسير الآيات القرآنية في ضوء القواعد اللغوية أو في ضوء العقل البشري أو في ضوء اجتهاداتهم حتى ظهرت عدة اتجاهات تفسيرية عبر التاريخ مثل الاتجاه الاجتماعي والاتجاه العلمي والاتجاه الأدبي والاتجاه العقلي[٧] وغيرها.

أما تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" يعدّ من التفاسير الحديثة، ويعتبر من أحسن التفاسير في بلاد الهند باللغة العربية، طبع لأول مرة سنة ١٢٩٠هـ بمطبع الصديقي في ولاية بهوبال ثم طبعته مطبعة بولاق بمصر عام ١٣٠٠هـ، وطبع في بيروت عام ١٤١٢هـ في المكتبة العصرية، وبعد ذلك طبعت عدة طبعات، أما الطبعة التي في أيدينا و هي تحتوي على خمسة عشرة مجلدا.

لا شك في أن هذا الكتاب من أهم التفاسير المشهورة التي ألفت في التفسير بالمأثور، والتفسير المأثور من أشرف أنواع التفسير وأفضلها على الإطلاق؛ لأنه تفسير من تنزيل رب العالمين أو من رسوله الأمين أو تفسير صحابي عاصر التنزيل أو تفسير تابعي نهل من منهل النبوة بواسطة الصفوة المختارة من الصحابة المفسرين رضوان الله عليهم أجمعين.

٦- انظر: عبد الرحمن بن عبد اللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، الناشر مكتبة دار اليمامة- الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م، ٢٧٤/١. والحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الناشر مكتبة دار ابن حزم- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، جلد٨،ص١٢٤٩

٧- الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م

مميزات الكتاب: ومن مميزاته أنه ركّز فيه على أحسن طرق التفسير، واستفاد من كتب المفسرين قديما وحديثا ولكنه اعتمد على كتاب "فتح القدير" للعلامة محمد الشوكاني مع أنه ذكر في كتابه المزيد من فوائد لغوية وفقهية، وجعل عبارته سهلة، واهتم بالإعراب، وربط التفسير بالواقع المعاصر، وذكر فيه وجوه القراءات وأسباب النزول، واختار المنهج التحليلي المأثور.

ومنها: أنه أولا فسّر القرآن بالقرآن ثم بالسنّة (الحديث) فإنها شارحة وموضحة له، ثم بأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ثم باللغة العربية والإجماع وخاصة اكترث اكتراثا بالغا بالسياق القرآني، وتفسيره خال من الخرافات والإسرائيليات، ومن المجادلة المذهبية والكلامية؛ بل جمع الشيخ بين الدراية والرواية، كما أشار إليه في مقدمة تفسيره قائلا: إنه جمع هذا التفسير جمعا حسنا وبألفاظ يسيرة وبعبارة سهلة مع عرض الموقف الصحيح والراجح بين التفاسير المعارضة في كثير الأماكن[٨]. يعتبر تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" من أحسن مصنفات العلامة القنوجي، فقد بذل جهده في تأليف هذ الكتاب، وجعله نافعا ومفيدا للجميع، ولذلك نال شهرة كبيرة في الأوساط العلمية والفكرية.

ثالثا: منهج العلامة القنّوجي في إيراد المسائل العقدية:

اختار القنّوجي منهج أهل السلف الصالحين من أهل السنّة والجماعة في تقرير مسائل العقيدة، يصرّح بذلك ويدعو إليه في جميع مؤلفاته ومصنفاته، وأنه يثبت جميع صفات الله عزّ وجل كما جاء في القرآن والسنّة ويحملها على ظواهرها بدون تأويل أو تحريف فيها، وكذلك ينفى ما ورد نفيه في الكتاب والسنّة، وأما ما لم يرد نفيه وإثباته يجب فيه التوقف عنده، وأما الروايات الضعيفة والأقوال التي تخالف عصمة الأنبيآء عليهم السلام، يردها جميعا، ومؤلفاته ومصنفاته خير دليل على عقيدته منها "قصد السبيل إلى ذمّ الكلام والتأويل" و "الدين الخالص" و "قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر" و"الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح" وغيرها.

عرض القنّوجي موقفه حول العقائد في تفسيره هكذا فقال: ما كان عليه أصحاب السنّة والحديث هو الإيمان بالله وبرسله وكتبه وملائكته، والإيمان بما وصف الله به نفسه في كلامه المجيد وبما وصف به نبيه محمد مصطفى ﷺ من غير تأويل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل وتحريف، وكان السلف يؤمنون بالله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهم لا ينفون عنه ما

---

[٨] - انظر: القنوجي، صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، الناشر: مكتبة العصرية- بيروت سنة الطبع ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، عدد الأجزاء ١٥، جلد١،ص٢١.

وصف نفسه ولا يعطّلونه ولا يحرّفون عن مواضعه ولا يلحدون في آياته وأسمائه، وهذا هو صراط مستقيم للذين تفضلهم الله بأنعمه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٩].

فمن يطالع مؤلفاته في العقيدة يجده قد استفاد من كتب علماء السلف القدامى مثل الإمام ابن تيمية وتلميذه الرشيد العلامة ابن القيم والعلامة الشوكاني –رحمهم الله– وقد ظهر تأثره بهم في كتبه ومؤلفاته، ومع ذلك قد يجد القارئ في تفسيره "فتح البيان في مقاصد القرآن" عدّة أخطاء وأوهام في تحرير العقيدة السلفية، ولعلّها قد دخلت عليه بسبب رجوعه إلى بعض كتب التفسير التي فيها نقول عن علماء الكلام، واعتماده على بعضها في النقل، وهذه الأخطاء تعدّ قليلة إذا ما قورنت بحجم الكتاب[١٠].

وقد نبّه الشيخ حمد بن عتيق[١١] على هذه الأخطاء في رسالة بعث بها إلى الشيخ القنّوجي رحمه الله مبدأ إعجابه بهذا التفسير وقال في رسالته إنه وقف على بعض مواضع من هذا التفسير التي تحتاج إلى نظر وتحقيق، وذلك بسببين:

الأول: أن القنّوجي لم يراجع تفسيره بعد إكماله.

الثاني: إحسان الشيخ القنّوجي رحمه الله الظن ببعض المتكلمة الذين أخذ من عباراتهم فدخل عليه منها، وبين الشيخ حمد بن عتيق أن هذا يعدّ قليلا بالنسبة إلى ما كتبه القنّوجي في التفسير وغيره، وقال أيضا: لقد وصلت إلينا رسالة منكم في ذم التأويل وهي مطلعة وكافية، أن ما صدر في التفسير حدث بدون تأمل.[١٢]

٩- القنوجي، النواب صديق خان، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، النشر شركة الشرق الأوسط، الأردن الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ، ص٣١.

١٠- علي بن أحمد، دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه، مكتبة الرشد ناشرون المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م، ص٥٧.

١١١١- هو الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق (١٢٢٧ - ١٣٠١ هـ = ١٨١٢ - ١٨٨٤ م) ولد في بلدة الزلفى، كان من العلماء البارزين المعروفين في نجد، ولي على منصب القضاة أولا في بلدة الحلوة ثم الأفلاج إلى أن فارق الدنيا. ومن كتبه "إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد" و "بيان النجاة والفكاك، من موالاة المرتدين وأهل الإشراك"و "الدفاع، عن أهل السنة والاتباع)"جميع هذه الرسائل في الدعوة إلى التوحيد، توفي سنة ١٣٠١هـ في بلدة الأفلاج _ رحمه الله. (أنظر: الزركلي الدمشقي، خير الدين، الأعلام، مكتبة دار العلم، الطبعة الخامسة عشر:٢٠٠٢م، جلد٢، ص٢٧٢. ومشاهير علماء نجد وغيرهم جلد١، ص١٨٠.

١٢- حمد بن على بن عتيق، مجموعة رسائل، دار الهداية، الرياض، ص٧٣. وذكر الشيخ حمد بن على بن عتيق في هذه الرسائل بعض أخطاء وأوهام في تحرير العقيدة السلفية من تفسير فتح البيان، منها: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (يونس الآية: ٢٩)، قال الشيخ القنوجي إن (ثم) للترتيب فيها، ولكن في سورة الرعد والسجدة، قال: (ثم) ليس للترتيب بل لمجرد العطف بمعنى الواو، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الرعد الآية :٢)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وبالجملة كان رحمه الله صافي العقيدة، متمسّكا بالكتاب والسنّة، سليما من الزلل والانحراف عمدا، يكره أهل البدع والخرافات، ويدعو إلى التوحيد، وإلى عقيدة السلف، وكتبه شاهدة على ذلك.

وسأذكر بعض الأمثلة من تفسيره كي يعرف منهجه في مسائل العقيدة.

رابعا: موقفه من آيات صفات الله سبحانه وتعالى:

لا شك أن باب الأسماء والصفات من أخطر أبواب العقيدة، ولذلك نجد العلامة القنّوجي يختار مسلك أهل السنّة والجماعة في باب الصفات، أي يؤمن بها من غير تحريف وتعطيل وتكييف ولا تمثيل ولا تأويل، فيؤمن بالله سبحانه وتعالى وباسمائه وصفاته، ولا ينفى عنه ما وصف الله به نفسه، ولا يحرّف الكلمات عن مواضعها، ولا يلحد في آياته وأسمائه، ومن صفات الله سبحانه وتعالى التي اختلف العلماء في تفسيرها منها: صفة اليد، وصفة الاستواء، وصفة العين وغيرها، وأكتفي بذكر المثالين منها:

المثال الأول: صفة اليد:

اختلف العلماء والمتكلمون في ثبوت صفة اليد في حق الله سبحانه وتعالى، أما أهل السنة والجماعة قد أجمعوا على الاقرار بهذه الصفة وأثبتوها كما جاء ذكرها في القرآن بلا تكييف وتشبيه وتعطيل وتمثيل، وفسروها كما جاءت بلا كيفية، وهناك مدرسة أوّلتها بمعنى القوة والقدرة، ولكن الشيخ القنّوجي مال إلى مسلك أهل السنّة والجماعة، وقال في تفسير هذه الآية:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[١٣].

صفة اليد لله من صفاته الذاتية مثل السمع والوجه والبصر، فعلينا أن نؤمن بها، ونثبتها لله عزّ وجل كما وردت في القرآن والسنّة بدون أي تشبيه وتعطيل وتكييف، كقوله تعالى: ﴿لما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[١٤]. وكذا قال نبينا محمد الصلاة والسلام عليه وعلى آله وسلم عن يمين الرحمن: "وكلتا يديه يمين"[١٥]. وحديث مسلم أيضا تدل على هذا

وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (السجدة الآية :٤)، اعترض عليه حمد بن عتيق بأنه يوجد تعارض في هذا الكلام مرة يقول ثم للترتيب، وثانيا: ليس للترتيب فقال للشيخ القنّوجي إن هذا خطاء فليس من مذهب أهل السلف أن يراد به (ثم) للعطف بمعنى الواو؛ لأن به يلتزم نفي عقيدة السلف حول استواءه سبحانه وتعالى على العرش. المصدر السابق.

١٣- سورة المائدة، الآية: ٦٤

١٤- سورة ص، الآية: ٧٥

١٥- الحديث الكامل الذي روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في

المعنى بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن آدم قال لموسى: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده[١٦].

ومن فرق الإسلامية التي منتفية هذه الصفة في حق الله عزّ وجل، الجهمية والمعطّلة والجهمية أنكروها، والمعطّلة أوّلوها بالقدرة والنعمة، وأن اليهود حملوا هذه الصفة على الجارحة حسب اعتقادهم الفاسد[١٧].

والحق أن صفة اليد ثابتة في حق الله سبحانه وتعالى، كصفة السمع والبصر والوجه ونحو ذلك؛ لأن النصّ ورد بها صراحة، فعلى المسلم أن يؤمن بالنصوص الشرعية بدون تحريف وتشبيه وتعطيل.

المثال الثاني: صفة الاستواء على العرش

صفة الاستواء على العرش من صفات الله تعالى، وفي القرآن الكريم العديد من الآيات[١٨] التي تدل على أن الله جل وعلى أثبت لنفسه هذه الصفة العظيمة على الوجه اللائق به عزّ وجلّ، وللعلماء في هذا المقام أقوال كثيرة، منحرفة عن النصوص الشرعية بتحريفات وتأويلات، والعلامة القنّوجي سلك في هذا المقام مذهب أهل السنّة والجماعة، وقال في تفسير هذه الآية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[١٩].

المراد من الاستواء في اللغة العلو والاستقرار، استوى على ظهر دابته، أي استقر، واستوى إلى السماء أي صعد، وبه قال المعتزلة وجماعة من المتكلمين، واستوى الرجل أي انتهى شبابه واستوى أي اتسق واعتدل. قالت أم سلمة رضي الله عنها: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجهود له كفر، وبنحوه قال الإمام مالك رحمه الله وزاد فيه والسؤال عنه بدعة، وقال الإمام النسفي: تفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما قال المشبهة باطل.

حكمهم وأهليهم وما ولوا. (انظر: القشيري، مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، جلد٣، ص١٤٥٨.رقم الحديث:١٨٢٧.

[١٦]- البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم الحديث(٦٦١٤) وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم الحديث: (٢٦٥٢)

[١٧]- فتح البيان في مقاصد القرآن، جلد٤، ص١٣.

[١٨]- انظر: سورة الأعراف، الآية: ٥٤، سورة يونس، الآية: ٣، سورة الرعد، الآية: ٢، سورة طه الآية: ٥، سورة الفرقان، الآية: ٥٩، سورة السجدة، الآية: ٤، سور ة الحديد، الآية: ٤

[١٩]- سورة الأعراف، الآية: ٥٤

وقال القنّوجي: إن المراد من العرش في اللغة السرير ومن الاستواء الاستقرار، وهكذا فسّر حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء في صحيح البخاري، وأصلا ليس في هذا المعنى تشبيه وإنما التشبيه في بيان الكيفية، وهذا موقف أهل السلف الصالحين وفي مذهبهم إمرار الصفات كما جاءت وإجراؤها على ظواهرها بلا تأويل وتكييف ولا تشبيه ولا تعطيل[٢٠].

وأثبت النبي ﷺ هذه الصفة لله تعالى أيضا في أحاديث عديدة، منها: قال مرة: "فهو عنده فوق عرشه"[٢١]. وقال في حديث آخر: "أدخل على ربي فهو على عرشه فأخرّ ساجدا"[٢٢].

فكل هذه النصوص تدل على صفة "الاستواء على العرش" ثابت لله عز وجل، فيجب علينا أن نؤمن بأنه مستوى على العرش بلا كيف، ونُثبت لله ما دلّ الكتاب والسنّة على ثبوته، وأن لا ندخل في المسائل التي سكت عنها المتقدمون من الصحابة والتابعين.

خامسا: موقفه من عصمة الأنبياء:

اعتنى الشيخ القنوجي رحمه الله عناية خاصة في تفسير القرآن بعصمة الأنبياء، ولا يفسّر ما يخالف عصمة الأنبياء، وما لا يليق بشأن الأنبيآء عليهم الصلاة والسلام، بل يأتي بتأويل مناسب ولائق مع مقام النبوة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

المثال الأول: هل يناسب لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحزن على ما فاته من الدنيا ؟

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[٢٣].

ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ ؟ فالشيخ القنّوجي رحمه الله ذكر فيها قولين ثم رجّح رأيا واحدا منهما كما يلي:

القول الأول: من لم يؤمنوا منهم وصمموا على الشرك والكفر والعناد فلا تحزن عليهم.

القول الثاني: ولا تحزن على ما متعوا منهم من الدنيا، وفاتك من مشاركتهم فيها فإن لك الآخرة.

رجّح الشيخ القنّوجي رحمه الله الرأي الأول فقال: والأول أولى"[٢٤]، أي أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تحزن على كفار مكة إن لم يقبلوا الإيمان، أي حيث لم يؤمنوا

٢٠- فتح البيان في مقاصد القرآن، جلد٤،ص٣٧٥.

٢١- ذكر الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ رقم الحديث: ٦٩٩٨. والإمام مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم الحديث: ٤٩٣٩.

٢٢- ذكره الإمام عمرو بن أبي عاصم في كتابه "السنّة" عن أنس بن مالك، تحقيق: ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، جلد٢، ص٣٨٧، رقم:٨١٦.

٢٣- سورة الحجر، الآية: ٨٨

وصمموا على الكفر والعناد، كقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[٢٥]. وكان النبي محمد ﷺ يود أن يدخل في الإسلام كل من بعث إليهم، ويحزن على إصرارهم بالكفر، وهذا المعنى يليق بشأنه ومؤيد بتفسير القرآن بالقرآن، ولا يليق ولا يناسب أن يقول في حق النبي عليه السلام أن يحزن على ما فاته من حصول الدنيا، فلذا رجح الشيخ القنّوجي الرأي الأول.

المثال الثاني: هل يليق بشأن النبي عليه السلام أن يقول للملك (ربي) ؟

تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[٢٦].

ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ ؟ فالشيخ القنّوجي ذكر فيها قولين ثم رجّح رأيا واحدا منهما كما يلي:

القول الأول: المراد من الرب هو الله سبحانه وتعالى، أي أن ربي يعلم بكيدهن.

القوال الثاني: المراد بالرب هنا الملك وجعله رباً لنفسه لكونه مربياً له.

رجّح الشيخ القنّوجي رحمه الله الرأي الأول فقال: "والأول أولى وفيه تعظيم كيدهن والوعيد لهن على كيدهن"[٢٧]، أي أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أي قال يوسف عليه الصلاة والسلام: إن ربي (هو الله عزوجل) عالم بصنيعهن وأفعالهن لا يغيب له أي شيء من ذلك، أي وربك (الملك) لا يعلم ما علم ربي، هذا المعنى أولى وأنسب في شأن النبي يوسف عليه السلام ولا يليق بشأنه أن يقول للملك ربي، وكذلك السياق يؤيد هذا المعنى ﴿ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[٢٨]. أي أن الرب الذي قال له يوسف عليه السلام: (ربي) هو الله سبحانه وتعالى، فلذا رجحه الشيخ القنوجي رحمه الله.

المثال الثالث: هل يليق بالنبي أن يشكّ في قدرة الله سبحانه وتعالى على إحياء الأموات، مع أن الشك يتنافى مع عصمة الأنبياء؟

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٩].

٢٤- فتح البيان في مقاصد القرآن، جلد٧، ص١٩٦.

٢٥- سورة الكهف، الآية: ٦

٢٦- سورة يوسف، الآية: ٥٠

٢٧- فتح البيان في مقاصد القرآن، جلد٦، ص٣٥٢.

٢٨- سورة يوسف، الآية: ٢٣

٢٩- سورة البقرة، الآية: ٢٦٠

ذكر الشيخ القنّوجي في تفسير هذه الآيات قولين، ثم رجّح ما يوافق بمقام النبوة والرسالة رعاية عصمة الأنبياء عليهم السلام، فقال:

قد ذهب الجمهور إلى أن إبراهيم لم يكن شاكاً في إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أُخبرت عنه، ولهذا قال النبي ﷺ: ليس الخبر كالمعاينة[٣٠].

أي تفسير هذه الآية هكذا: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءَته ﴿قَالَ بَلَى﴾ علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك ﴿وَلَكِنْ﴾ سألت ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان.

ثم ذكر القنّوجي الموقف الثاني في تفسير هذه الآية وقام برده:

حكاية عن طائفة من أهل العلم أن سيدنا ابراهيم عليه السلام سأل ذلك لأنه شك في قدرة الله، واستدلوا بما صح عنه ﷺ في الصحيحين وغيرهما من قوله "نحن أحق بالشك من إبراهيم"[٣١] وبما روى عن ابن عباس أنه قال: ما في القرآن عندي آية أرجى منها. أخرجه عنه الحاكم وصححه، ورجح هذا ابن جرير بعد حكايته له.

الرد على هذا الموقف:

ردّ الشيخ القنوجي هذا الموقف؛ لأنه لا يناسب مع عصمة الأنبياء عليهم السلام، فذكر أولا ما قال الشيخ ابن عطية في رده ثم قول الشيخ القرطبي والماوردي رحمهم الله، حيث قال:

قال ابن عطية وهو عندي مردود يعني قول هذه الطائفة ثم قال: وأما قول النبي ﷺ: "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ" فمعناه أنه لو كان شاكاً لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم أحرى أن لا يشك " فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم.

وأما قول ابن عباس: هي أرجى آية فمن حيث أن فيها الإدلال على الله وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك.

ويجوز أن نقول هي أرجى آية لقوله (أو لم تؤمن) أي أن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث، قال: فالشك يبعد على من ثبت قدمه بالإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلّة والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً.

وإذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الألفاظ للآية لم تعط شكاً، وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول نحو قولك: كيف علم

٣٠- الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:١٤٢١ هـ-٢٠٠١م، رقم الحديث: (١٨٤٢)، جلد٣، ص٣٤١.

٣١- صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله عزّ وجل:﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ رقم الحديث: (٣٣٧٢)، جلد٤، ص١٤٧.

زيد، وكيف نسج الثوب، ونحو هذا، ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فإنما السؤال عن حال من أحواله.

وقد يكون كيف خبراً عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف نحو قولك: كيف شئت فكن، ونحو قول البخاري: كيف كان بدء الوحي، وهي في هذه الآية استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر، ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبّرون عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم أنها لا تصح فيلزم من ذلك أن الشيء في نفسه لا يصح.

مثال ذلك أن يقول مدّع أنا أرفع هذا الجبل فيقول المكذب له أرني كيف ترفعه، فهذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جدل، كأنه يقول افرض أنك ترفعه.

فلما كان في عبارة الخليل هذا الاشتراك المجازي خلص الله له ذلك وحمله على أن بين له الحقيقة فقال له (أو لم تؤمن قال بلى) فكمل الأمر وتخلص من كل شيء ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة.

قول الإمام القرطبي رحمه الله:

لا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فإنه كفر، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث. وقد أخبر الله سبحانه أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[٣٢] وقال اللعين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٣٣] وإذا لم تكن له عليهم سلطنة فكيف يشككهم وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها، وإيصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها.

فأراد أن يرقى من علم اليقين إلى عين اليقين. فقوله ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ طلب مشاهدة الكيفية، قال الماوردي: وليست الألف في قوله ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب وتقرير، والواو واو الحال، وتؤمن معناه إيماناً مطلقاً دخل فيه فصل إحياء الموتى، والطمأنينة اعتدال وسكون، وقال ابن جرير: ليوقن قلبي[٣٤].

هكذا أزال الشيخ القنّوجي الشبهة التي في زمرة الطعن والعيب على عصمة الأنبياء عليهم السلام.

---

[٣٢]- سورة الحجر، الآية: ٤٢

[٣٣]- سورة الحجر، الآية: ٤٠

[٣٤]- فتح البيان في مقاصد القرآن، جلد٢، ص١١١.

المثال الرابع: هل يليق بشأن النبي عليه السلام أن يهمّ بالقصد المحرم ؟

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[٣٥].

أي ماالمراد من الهمّ الذي همّ به يوسف عليه السلام ؟، فالشيخ القنّوجي رحمه الله ذكر فيها أقوالا ثم رجح رأيا واحدا ، فقال: تكلم أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع تكلف، ثم ذكر المعنى الراجح لديه قائلا: "والمعنى أنه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته ومال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية والجبلة الخلقية و لم يكن من يوسف عليه الصلاة والسلام القصد إلى ذلك اختياراً كما يفيده ما تقدم من استعاذته بالله وإن ذلك نوع من الظلم بل قصد من غير رضا ولا عزم ولا تصميم، والقصد على هذا الوجه لا مؤاخذة فيه فلا خلاف في أن يوسف لم يأت بفاحشة وإنما الخلاف في وقوع الهم. ولما كان الأنبياء معصومين عن الهم بالمعصية والقصد إليها أيضا"[٣٦].

لماذا اختار الشيخ القنوجي هذا الموقف ورجحه؟

لأن هذا الموقف يناسب بمقام النبوة وموافق مع الأدلة النقلية والقواعد التفسيرية، فهي: الأولى: **(تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ)** [٣٧] والثانية: (القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير)) [٣٨] والثالثة: ((إدخال الكلام فى معانى ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له)) [٣٩]. والرابعة: ((القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)) [٤٠] والخامسة ((كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو

---

[٣٥]- سورة يوسف، الآية: ٢٤

[٣٦]- فتح البيان في مقاصد القرآن، جلد٦، ص٣١٤.

[٣٧]- فتح البيان، جلد١، ص١٨. وانظر: الحربي، الحسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، الناشر: دار القاسم الطبعة الأولى ١٩٩٦م/١٤١٧ه، عدد الأجزاء: ٢، جلد١، ص٢٨٨.

[٣٨]- انظر :النحاس، أبو جعفر، القطع والائتناف، الناشر: مطبعة العاني-بغداد:١٤٠٩ه، ص٥٤٤. ومفاتيح الغيب، جلد١٢، ص١١٤. وقواعد الترجيح للحربي، جلد٢،ص٤٥١.

[٣٩]- انظر: أحمد سلامة أبي الفتوح، عقود المرجان، الناشر:دار الكيان الطبعة الأولى: ١٤٢٦ه، ص١٢٦. وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي، جلد١، ص١٢٥.

[٤٠]- انظر: ابن تيمية، تقي الدين عبد الحليم، مقدمة التفسير ضمن مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، جلد١٣، ص٣٦٣. ومقدمة أضواء البيان، ج١، ص٧. وقواعد الترجيح لحسين الحربى، جلد١، ص٣١٢.

مردود)[41] وقد اعتمد الشيخ القنوجي رحمه الله على هذه القواعد وعمل بمضمونها وإن لم ينص عليها هنا وهذا ما يقوي الترجيح، أي أن الهم الذي هم يوسف عليه السلام في قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ هو ليس الهم المحرم ، وليس هنا أي تقديم والتأخير كما قال أبوحاتم ، لأنه نوع من التكلف، ويؤيده ما قبله و هو قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[42] وإليه أشار الشيخ القنوجي رحمه الله، ويدل على هذا قوله (قول يوسف عليه السلام) كقوله تعالى :﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[43] وقوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[44]

أي مجرد الهم لا ينافي العصمة فإنها قد وقعت العصمة عن الوقوع في المعصية وذلك المطلوب. وإليه ذهب جمهور المفسرين ، كما قال القنوجي رحمه الله : وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف إلى ما قدمنا من حمل اللفظ على معناه اللغوي، ورجحه الرازي رحمه الله كما أشار إليه القنوجي رحمه الله فقال : وقد أطنب الرازي رحمه الله في هذا المقام فليراجعه[45].

وما ذهب إليه جمهور المفسرين والشيخ القنوجي رحمهم الله وهو الصحيح – إن شاء الله– على أساس القواعد التي ذكرها سابقا، أي إذا كان أحد الأقوال تؤيده آية أو آيات أخرى فهو أولى بحمل الآية عليه؛ لأن تأييد القرآن له يدل على صحته واستقامته ، وكذلك تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ؛ لأنه لا وزن للقول الشاذ في مقابلة قول الجمهور إلا بدليل واضح ، وكذلك حمل نص الوحي على التفسير الذي يجعله داخل ما قبله وما بعده أولى ؛ لأنه أوفق للنظم القرآن ما لم يرد دليل واضح يمنع من ذلك ، وكذلك لا يقبل كل قول الذي لا يليق بشأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.والله أعلم بالصواب.

---

[41]- انظر: الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية، المحرر الوجيز، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، جلد٩، ص٣٩٤، ومفاتيح الغيب، ج١٣، ص٥٠. وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠ه/١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨، جلد٧، ص٥٩. وقواعد الترجيح للحربي، جلد١، ص٣٢٨.

[42]- سورة يوسف، الآية: ٢٣.

[43]- المصدر السابق: ٥٢

[44]- المصدر السابق: ٥٣

[45]- فتح البيان في مقاصد القرآن، جلد٦، ص٣١٤.

يتضح لنا من خلال هذه النماذج أن الشيخ القنوجي كان صافيا العقيدة، متمسكا بالكتاب والسنة النبوية، ومنبذ البدع والخرافات، وداعيا إلى العقيدة السليمة، كما أشار إليه في بيان قصة سيدنا سليمان عليه السلام قائلا:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[٤٦]

(ولقد فتنا سليمان) أي ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه.

قال الواحدي رحمه الله: قال أكثر المفسرين: تزوج سليمان امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم في داره، ولم يعلم بذلك سليمان، فامتحن بسبب غفلته عن ذلك وقيل: إن سبب الفتنة أنه تزوج سليمان امرأة يقال لها جرادة وكان يحبها حباً شديداً فاختصم إليه فريقان أحدهما من أهل جرادة فأحب أن يكون القضاء لهم، ثم قضى بينهم بالحق.

وقيل السبب أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد، وقيل إنه تزوج جرادة هذه وهي مشركة لأنه عرض عليها الإسلام فقالت: اقتلني ولا أسلم.

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: إنه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه، وقال الحسن رضي الله عنه إنه قارب بعض نسائه في شيء من حيض أو غيره.

وقيل إنه أمر أن لا يتزوج امرأة إلا من بني إسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم.

وقيل إن سبب فتنته ما ثبت في الحديث الصحيح:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ سُلَيْمَانُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّه، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ "[٤٧]

وقيل غير ذلك.

بعد ذكر جميع هذه الأقوال رجحّ القنوجي ما ثبت من الحديث النبوى الشريف فقال:"والمصير إلى الحديث متعين"[٤٨].

٤٦- سورة ص، الآية: ٣٤

٤٧- صحيح البخاري، باب: كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جلد٨، ص١٣٠، رقم الحديث:٦٦٣٩.

٤٨- فتح البيان في مقاصد القرآن، جلد١٢، ص٤٢.

سادسا: موقفه من فناء النار

ذكر الشيخ القنوجي رحمه الله في تفسير هذه الآية مسألة (هل تفنى نار جهنم أم لا) ؟ ، فذكر فيها أقوال كثيرة منها قول شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، ثم رد على الرأي من قال بفناء النار، أي في وقت من الأوقات لا تبقى النار جهنم.

ذكر الشيخ القنوجي في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[٤٩]، قول شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ ابن القيم رحمهما الله بفناء النار، ثم قال: نقل ابن تيمية هذا الموقف عن جمع من الصحابة والتابعين.

ثم انتقد القنوجي الرأي بفناء النار فقال: هذا قول مهجور ومذهب متروك لا يصار إليه ولا يعول عليه؛ لأن الجمهور أولوا ذلك وأجابوا عنها نحو عشرين وجها، ومنها: أن المراد من هذه الآيات ليس فيها أحد من عصاة المؤمنين، فأما مواضع الكفار فهي ممتلئة منهم، لم يخرجوا من الجهنم أبدا كما جاء ذكرهم في كثير من الآيات.

ثم قال القنوجي: لا مانع في حمل الاستثناء في كلتا الآيتين على العصاة من هذه الأمة، فالمراد من الاستثناء الأول: إلاّ ما شاء الله من خروج العصاة هذه الأمة من نار جهنم، والمراد من الاستثناء الثاني: إلاّ ما شاء الله من عدم خلودهم في الجنة كما يخلد دونهم، وذلك بسبب تأخر دخولهم في الجنة؛ لأنهم لبثوا في النار بسبب ذنوبهم، وبه قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما وجمع من أهل العلم. [٥٠]

ومن خلال هذا الكلام عرفنا منهج الشيخ القنوجي رحمه الله في المسائل العقدية، و أنه كيف يرجح بين الأقوال، ويجتنب من التفسير بالرأي المذموم، وكيف يختار موقفا سليما في صفات الله سبحانه وتعالى، وفي عصمة النبوة، وفي العقائد الأخرى، ولا يبالي فيها بما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، بل انتقد أرائهما عندما وجد المخالفة مع الجمهور السلف الصالحين رحمهم الله.

نتائج البحث:

أما النتائج التي وصلنا إليها من خلال هذا البحث العلمي حول الموضوع: منهج الشيخ القنوجي في إيراد المسائل العقدية في تفسيره"فتح البيان في مقاصد القرآن" وهي: أثبت القنوجي جميع صفات الله سبحانه وتعالى كما جاءت في الكتاب والسنة، واختار مسلك

---

[٤٩]- سورة هود، الآية: ١٠٦-١٠٨

[٥٠] فتح اليان في مقاصد القرآن، جلد٦، ص٢٤٦،٢٥٤.

السلف الصالحين فيها، وكذا اعتنى عناية خاصة بعصمة الأنبيآء ولا يفسّر ما يخالف عصمة النبوة، وما لا يليق بشأن الأنبيآء عليهم الصلاة والسلام، بل يأتي بتأويل مناسب ولائق مع مقام النبوة، ولم يفسر القرآن بمجرد الرأي؛ بل يأتي بدليل على كلامه في تفسير القرآن ولو كان عقليا؛ ولكن عموما يتزين كلامه بالأدلة الموثوقة والقوية من تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة، وكذا بأقوال الصحابة والتابعين وبإجماع الأمة؛ فلذا تفسيره من أهم التفاسير المشهورة التي ألفت في مجال التفسير بالمأثور في شبه القارة الهندية.

هذا ما عندنا والله أعلم بالصواب.